

## التراث الثقافي المادي بالجنوب الشرقي المغربي بين واقع الإهمال وطموح التثمين والاستدامة : حالة جبال صاغرو وسفوحه أنموذجاً

كمال محمد

طالب باحث في سلك الدكتوراه

جامعة ابن زهر، أكادير

إذا كانت شمال أفريقيا والمغرب بالتحديد شكل الموضوع المفضل للدراسات والآداب الكولونيالية زمن الاحتلال وبعد الاستقلال، وذلك من خلال الأبحاث والدراسات التي ثم إنجازها خلال تلك العقود، في الأنثروبولوجيا واللسانيات والشعر والقصة والحكاية واللغة الأمازيغية وغيرها<sup>1</sup>، فإن التراث المعماري يبقى الجانب الذي لم يحظى بالاهتمام الكافي ضمن هذه الأدبيات باستثناء بعض المؤلفات النادرة من قبل<sup>2</sup>، المعمار والسكنى بدادس للباحثة د. جاك مونيي (D. Jacques Meunié)<sup>3</sup> وكذا القصبات الأمازيغية للأطلس والواحات، لصاحبه هنري تيراس (Henri Terrasse)<sup>4</sup>.

إن بحثنا هذا يتوخى تسليط الضوء ونفض الغبار على أحد المواضيع الشائكة، وهو الموروث الثقافي المادي عموماً<sup>5</sup>، - ولا ندعي أننا سنحيط الموضوع

<sup>1</sup> - للمزيد من المعلومات حول المعرفة التي خلفها الإرث الكولونيالي في المواضيع المذكورة يراجع، الحسين بويقوبي، "المعرفة والسلطة في السياق الكولونيالي بالمغرب والجزائر"، مقال منشور ضمن، مجلة الدراسات الأمازيغية، أكادير: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد الثاني، الطبعة الأولى، 2018، (ص. ص. 29-44).

<sup>2</sup> - كاترين غمبار (أمهان)، "بصدد الموروث الأمازيغي"، مقال منشور ضمن، مجلة الثقافة المغربية، الرباط: مجلة تصدرها وزارة الثقافة، العدد 26-27، ملف فن المعمار بالمغرب، الطبعة الأولى، فبراير 2007، (ص. ص. 99-110)، ص. 99.

<sup>3</sup> - Jacques Meunie, « Architecteurs et Habitats du Dadès » in *Journal de la société des africanistes*, tome 33, 1963.

<sup>4</sup> - Henri (Terrasse), *Les Kasbas Berbères de l'Atlas et des oasis: les grandes architectures du Sud Marocain*, Editions original, Editions des horizons de France, 1938.

<sup>5</sup> - تعتبر جبال صاغرو القلب النابض لاتحادية أيت عطا الصنهاجية التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بهذا الجبل، منذ تشكلها خلال القرن 15م، إلى غاية معركة بوكافر الشهيرة التي شهدتها هذه المنطقة بين أيت عطا والجيوش الاستعمارية سنة 1933م، وللمزيد من المعلومات حول صاغرو يراجع: أحمد (رشيد)، "جبل صاغرو"، مقال منشور ضمن كتاب، *مذكرات من التراث المغربي*، 8 أجزاء، [مجموعة أشرف عليها العربي الصقلي]، الجزء الخامس الخاص بالمقاومة، الرباط، الطبعة الأولى، 1985، (ص. ص. 192-204).

بكل جوانبه- هذا التراث المتنوع والمتعدد الذي تزخر به مناطق أسامر<sup>6</sup> بواجاتها وجبالها، والذي تعرض في مجمله-إن لم نقل معظمه- للتدهور والاهمال من طرف ذويه أولا أو من طرف بعض الجهات المعنية والمسؤولة ثانيا.

بعد هذا التقديم العام، لا بد أن نطرح بعض الإشكاليات الأساسية التي تصب في هذا الموضوع من قبل، كيف نعرف التراث؟ والتراث المادي بشكل خاص؟ وما هي أهم أنواع التراث المادي بجبال صاغرو؟ وما هي الحالة والوضعية الحالية لهذا الإرث التاريخي؟ وما هي أهم الأسباب والمشاكل الكامنة وراء تدهور هذا التراث؟ وما هي بعض سبل صيانة هذه المباني التاريخية؟ وما هي بعض الحلول المقترحة لتثمين هذا الارث التاريخي في خدمة التنمية المحلية وتشجيع السياحة الداخلية والخارجية؟ وما هي أهم التوصيات التي يمكن الخروج عنها بعد التطرق لهذا الموضوع؟

### 1. مفهوم التراث:

التراث بمفهومه العام وهو نتاج الابداعات المادية والمعنوية لمجتمع من المجتمعات، يتوارثه عن السلف، ويعكس تجاربهم القبلية ورغباتهم ومظاهر عيشهم وسلوكياتهم وحجم احتياجاتهم ونمط تفكيرهم، وبالتالي فهو تجسيد للإرث التاريخي للمجتمعات القبلية، ويعتبر أيضا الوسيلة الأساس التي تحدد بها مقومات الوجود الحضاري وإبراز الهوية، ومن هذا المنطلق فهو مرآة للماضي، ومورده يمكن النهل منه لمعرفة الحاضر<sup>7</sup>.

والتراث المعماري القديم في شموليته هو ذلك التراث المادي الذي يكتسي قيمة ثقافية وفنية، وإبداعية وجمالية أو وظيفية، ويعكس المرتكزات التي قامت عليها هذه الحضارات، وتصورات مجتمعاتها وفلسفتها في تدبير معيشتها اليومي. يعتبر المغرب عامة وجنوبه خاصة من المجالات العريقة والخصبة، التي عرفت أشكالا معمارية مختلفة ومتنوعة من القصور والقصبات وأبراج المراقبة والأضرحة، وكلها أشكال أثرية وتراثية ومباني تاريخية، جعلت من أسامر خزانة ومتحفا بشريا

---

- عبد القادر (بوراس)، **معلمة المغرب الأقصى**، "مادة صاغرو"، الجزء 16، سلا: منشورات الجمعية المغربية لتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى 1989، ص. 5468.

<sup>6</sup>- يسمى الأمازيغ ونقصد هنا بالضبط قبائل صنهاجة وزناتة الجنوب الشرقي المغربي، أو السفوح الجنوبية الشرقية، بلغتهم تمازيغت باختصار شديد هذه الرقعة بأسامر أي المناطق المشمسة، تميزا عنها بمناطق آيت أومالو أي أهل الظل، وعلى هذا الأساس، سنعمل في أطوار هذا البحث اختصار الجنوب الشرقي المغربي، بالمصطلح المحلي الضارب في القدم أي أسامر، للمزيد راجع أحمد (التوفيق)، **معلمة المغرب الأقصى**، "مادة أسامر"، الجزء 2، الرباط: منشورات الجمعية المغربية لتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، الطبعة الأولى، 1989، ص. 414.

<sup>7</sup>- عبد الرحمان (الذكاري)، "التراث المعماري بالمغرب:الذاكرة المجالية ومظاهر التثمين"، مقال منشور ضمن مجلة، **أبحاث ودراسات التنمية**، مجلة دورية محكمة تصدر عن مختبر الدراسات والبحوث في التنمية الريفية، الجزائر: بجامعة البشير الابراهيمي بوعريرج، العدد العاشر، الطبعة الأولى، ديسمبر 2014، (ص. ص. 9-39)، ص.9.

واثنوگرافيا حيا وتراثيا متميزا ومفتوحا في آن واحد، بحيث أن العديد من المآثر استطاعت انتزاع الاعتراف بها كموروث علمي من طرف المؤسسات الدولية المهمة بهذا الشأن من قِبَلِ تغرمت - قصبة- تاويريرت وأيت بن حدو بورزازات، إلا أنها ما تزال تعاني من مشاكل بنوية تعيق استثمارها على الوجه الأمثل ثقافيا واقتصاديا، وهي بالتالي في حاجة إلى من يعيد لها اعتبارها وأهميتها.

وعلى الرغم من أن الكل يجمع على أن التراث يكون أشد ارتباطا بـماضي الانسان وتاريخه وتجاربه القبلية، إلا أنه يعتبر ذلك المورد الأساس الذي تنهل منه مختلف الحضارات لاستشراف المستقبل، كما أنه يعيد بناء لبنة من لبنات من الذاكرة الجماعية لمجتمع من المجتمعات والتي من خلالها يستمد كينونته وهويته ويضمن استمراريته.

حقيقة إن مسألة التراث طرحت في بعض الأحيان آراء متباينة إلى درجة التناقض، خاصة حينما يتعلق الأمر بالرغبة في تثمينه، والاستفادة من مخزونه المعلن والكامنة، وطرق استعماله كمورد من الموارد التي لها من المؤهلات ما يمكن تحقيقه من حركية اقتصادية كبيرة.

فهناك من ينظر إليه على أنه إبداع متجاوز يعود لفترة قد خلت، والبحث فيه غير مجد، ويكرس إحياء مفاهيم ماضوية متجاوزة وبالتالي فهو نوع من النكوص، ودرب من دروب الرجعية على مستوى تمثل بعض المعارف المستمدة منه<sup>8</sup>، وهناك من يرى عكس هذا الرأي ويعتبر هذا التراث مخزونا تركه السلف للخلف، يعكس الهوية الثقافية وطرق التفكير وتمثيلات مبدعة للحياة، وعلى أساس هذه الفئات يمكن فهم الحاضر عن طريق مسألة هذا التراث، وتحديد الأبعاد التي يمكن نهجها لاستشراف المستقبل، ومن هذا المنظور يصبح التراث مصدرا للإلهام وللمعرفة وذاكرة جماعية توحد مجتمع ما وتوجه مستقبله.

وهناك رأي ثالث ينظر إلى هذا التراث من زاوية نفعية براغماتية، ويحاول أن يزاوج بين البعد التاريخي والحضاري لهذا التراث والبعد الاقتصادي، الذي يمكن أن يندرج في إطاره، بحيث شكل هذا الأخير مادة يمكن المراهنة عليها وتوظيفه في أنشطة مدرة للدخل، وذلك بجعله إحدى المقومات تحقيق الفرحة والمتعة- مزارات سياحية- لأولئك الذين يبحثون عن سبر أغوار الذاكرة الجماعية للمجتمعات والاطلاع على المآثر التاريخية أينما وجدت في العالم.

وتعتبر السياحة تجسيدا لهذه الديناميكية خاصة وأنها توظف التراث ضمن منتجاتها الاستهلاكية، والاهتمام به من هذا البعد يمكن أن يضمن له تحقيق غايتين كبيرتين معا، من جهة الإدماج ضمن مكونات الدورة الاقتصادية وجعله أحد عناصر الرواج السياحي، ومن جهة أخرى العمل على المحافظة عليه وصيانته، خاصة وأنه مورد غير قابل للتجديد.

<sup>8</sup> - لويس (عوض)، ثقافتنا في مفترق الطرق، بيروت لبنان: منشورات، دار الآداب، الطبعة الثانية، 1983، ص.57.

## 2. أصناف التراث الثقافي المادي بجبال صاغرو:

شكل التراث المعماري أحد أهم مظاهر التراث المادي الذي خلفه مجتمع من المجتمعات، وما يهمنا هنا هو التراث المعماري الذي خلفه وتركه الإنسان بأسامر والعطوي بالخصوص بجبال صاغرو، هذا التراث الذي يكون من القصور والقصبات وأبراج المراقبة ( إغرم - تغرماتين - إودمان - إگرامن - الثكنات العسكرية)، المنتشرة في الرقعة الجغرافية هذه، باعتبار هذه الأخيرة ساهمت في تكوينها عوامل طبيعية وبشرية، جعلت منه تراثا حضاريا ميز المنطقة الجنوبية الشرقية للأطلس الكبير الشرقي والأطلس الصغير، عن غيرها من المناطق الأخرى وكذا طريقة تكييف السكان مع المناخ البيئي الصحراوي، الذي يفرضه المجال الذي تحوزه المنطقة خاصة فيما يتعلق بالموارد المائية التي هي أساس كل استقرار بشري<sup>9</sup>.

سنحاول إعطاء نظرة أولية حول الموروث المادي المتمثل في المباني العمرانية، من القصور "إغرم" والقصبات "تغرماتين" وأبراج المراقبة "إودمان" والأضرحة "إگرامن" وذلك بتعريفها، وتقديم خصائصها ومميزاتها، لنتطرق بعد ذلك للاهمال والخلل والتهميش الذي أصاب هذا التراث الزاخر وفي الأخير نقدم مجموعة من المقترحات لاستغلال هذا الإرث التاريخي المادي في خدمة وتنمية سكان هذه المنطقة في ما يعرف بالتنمية المحلية للمناطق الجبلية.

إذ يشكل التراث العمراني وعاء الحضارة فهو يحفظ كل الخصائص الجوهرية لكل شعب أو أمة ما، بما يميزها عن سواها ويجسد عراقتها ويسجل تاريخها ويحفظ هويتها ولهذا التراث فوائد كثيرة وجمة على صعيد مجموعة من المستويات، منها الثقافية والجمالية والاقتصادية.

أ- إغرم:

إغرم - قصر - أنيف:



<sup>9</sup> عبد الناصر (بنضيك)، "التراث المعماري بالجنوب المغربي: نموذج منطقة سكورة بإقليم ورزازات"، مقال منشور ضمن دورية كان التاريخية الإلكترونية، مجلة علمية محكمة، العدد 6، دجنبر 2009، (ص.ص. 22-31)، ص. 22.

يعتبر إغرم<sup>10</sup> من بين المآثر العمرانية والتراثية القديمة التي يزخر بها مجال جبال صاغرو والواحات المجاورة له، بحيث تبرز براعة وذكاء مشييدها ويعبر هذا التشكيل السكني المهيمن في الواحات، نتيجة المعطيات المناخية القاسية ونتيجة أحداث تاريخية متنوعة مرت بها المنطقة، وقد تم تشييد هذا النوع من البناء لتوفير السكن والدفاع والتصدي لأي عدو خارجي<sup>11</sup>، وعلى العموم لا يخلو أي مكان في المنطقة من تجمع سكاني إلا وفيه هذه البناية المعمارية، -إغرم- وتمتاز هذه التجمعات السكنية ببنيتها المتراسة المتجمعة والمحصنة بسور أو سورين وقائمين، لا يفتحها على الخارج سوى باب رئيسي واحد كبير يقوم بحراسته حارس دائم -أدواب- ويتميز هذا السور الداخلي بأبراج عالية تحتل زواياه بينما يكون السور الخارجي بناء عادي لا يميزه سوى علوه.

ومن جهة ثانية يعتبر إغرم خلية سكنية تضم العديد من المنازل والأسر التي يجمعها تشابه في أنماط العيش، وكذا بعض الترابطات الاجتماعية ذات الأصول القبلية المتعددة أو الواحدة والموروثة عن الأوضاع السياسية والاجتماعية، وبهذا يكون إغرم في آخر المطاف، وحدة سكنية تنفرد بها واحات أسامر، كما يلعب إغرم بدوره مجموعة من الوظائف منها الاقتصادية والزراعية، والاجتماعية المتمثلة في التعاون والتآزر بين سكانه في جميع المناسبات كيفما كان شكلها ونوعها<sup>12</sup>.

#### **ب- القصبات (تغرماتين):**

تغرمت بالأمازيغية التي هي تصغير لكلمة "إغرم" أي القصر وفي سوس يطلق عليها اسم أكادير، والقصبة هي الدار الكبيرة المبنية بالحجر أو الطين - ما يعرف بالتابوت- وتقع في أغلب الأحيان في مرتفع منعزل يشرف على حوض مائي أو واد وهي سكن لملاك ميسورين و تضم كانونين أو أكثر، وفي هذه الأخيرة كتب عبد الله العباسي رئيس غرفة الصناعة التقليدية بإقليم ورزازات القصبة جوف القصر، وقبل قصبة البلد مدينتها، و القصبة جوف الحصن يبنى فيه بناء هو أوسطه، والغرب في الغالب يطلقون هذه الكلمة على كل ما له شبه كبير ببنيات القصبة مجازيا، وانتقلت بعد ذلك للدلالة على تلك المباني المحصنة<sup>13</sup>.

<sup>10</sup>- حول مصطلح إغرم يراجع، عبد العزيز (توري)، **معلمة المغرب الأقصى**، "مادة إغرم"، الجزء 2، سلا: منشورات مطابع الجمعية المغربية لتأليف والترجمة والنشر، 1992، ص534.

<sup>11</sup>- مصطفى (جليل)، "مؤسسة القصر بواحة دادس وأمگون"، مقال منشور ضمن مجلة، **الثقافة الجنوبية**، منشورات مطبعة دار القرويين، الطبعة الأولى، 2005، (ص. ص. 14-17)، ص. 14.

<sup>12</sup>- لمزيد من المعلومات والمعطيات حول وظائف إغرم يراجع: مولاي أحمد (رضا)، **المجتمع والعرف والسلطة المخزنية بالجنوب المغربي درة العليا نموذجا أواخر القرن 19م وبداية القرن 20م**، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، الرباط: جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية أگدال، إشراف الأستاذ الدكتور جامع بيضا، [مرفونة]، 2015-2016، ص. 105-107.

<sup>13</sup>- عبد الله (العباسي)، "البناء التقليدي بالجنوب المغربي. القصبات بإقليم ورزازات نموذجا"، **مجلة جمعية غرف الصناعة التقليدية** العدد 5 ماي ص. 90.

وعليه فالقصبية هي بمثابة بناية سكنية تقطن بها عائلة أو مجموعة عائلات، قد تكون على شكل مستطيل أو مربع تحاط بأبراج في جوانبها الأربعة، ويمتد إليها البناء مما يؤدي إلى امتداد المباني معها وتكون متقاربة في خط واحد وبنفس الاتجاه، ومبعثرة بشكل غير منتظم وعادة ما يكون للقصبية مدخل واحد ويوجد داخل القصبية بهو وهذا النوع موجود في الصحراء، أما في المناطق الجبلية لا يوجد بها الصحن ولكن توجد بها ممرات، وهذه البنايات في صنفها المتميز عبارة عن دور كبيرة تسكنها عائلات ميسورة، أو ذات نفوذ، وهي مشيدة على شكل قلاع تحتل أركانها الأربعة أبراج شامخة كما يتقوى مدخلها الوحيد ببرجين جانبيين.

وإذا كانت بعض المناطق المغربية تفتخر بكونها مناطق انتشار المزارات والمغارات والكهوف، فمن حقنا أن نعتز بكون منطقة صاغرو ودادس والنقوب تعتبر بلاد الألف قصبية وقصبية، هذه القصبات التي لعبت أدورا طلائعية في تاريخ المنطقة، ولهذه الأخيرة أدوار اقتصادية ودفاعية، وظيفة سياسية وأمنية وعسكرية وسكنية بالأساس.

فبالنسبة للوظيفة الأمنية تتجلى في الموقع الاستراتيجي الذي شيدت عليه، وذلك من أجل مراقبة الطرق و المسارات المؤدية إليها، وكذلك إلى القصر إضافة إلى مراقبة السواقي و الأودية و المزارع التي تشرف عليها القصبية، في حين أن الوظيفة السياسية تتمثل في كون القاطنين فيها تكون لهم سلطة سياسية لتسيير أمور الناس داخل القصر و السهر على معالجة مشاكلهم، وكذلك التدخل باسم القصر الذي تنتمي إليه من أجل فك الخلافات، أو توطيد العلاقات بينهم وبين القصور الأخرى المجاورة، وأيضا في العلاقة مع المخزن في دور الوساطة، وفيما يخص الوظيفة العسكرية و الدفاعية فإن القصبات تتمتع بأبراج المراقبة التي تؤهلها لتلعب دورا هاما في الدفاع عن القصبية و القصر، وفي ما يخص الوظيفة العسكرية فإن القصبية توجد بها مساحة شاسعة من أجل تدريب الجنود و تجهيزهم و هذا ما نجده في قصبية الغلاوي القديمة بتودغي التي وجدت فيها مساحة لهذا الغرض.

#### نموذج 1- تغرمت توحمانت نأيت أشطوبان بامضير



تعتبر هذه القصبية المتواجدة بمنطقة إمبضر من بين آلاف القصبات بالمنطقة التي تصارع الزمن للبقاء، صامدة أمام عوائد الدهر، بعدما أدت وظيفتها السكنية

والدفاعية لمدة تاريخية لا تقل عن قرنين أو أكثر من هذا الزمن، لكن اليوم أصبحت مهجورة وتتساقط شيئا فشيئا، حتى تنهارى بكاملها إن لم يتدخل ملاكها بتنسيق مع وزارة الثقافة، لإنقاذها وترميمها وإعادة الحياة إليها قبل فوات الأوان، لأن من واجبا حماية الإرث الذي تمثله هذه القصبات، المحافظة على التراث التقليدي يتجلى في الشكل المعماري الثقافي والزخرفة التي تتمتع بها هذه القصبات وكذلك الطريقة التي بنيت بها، والمواد التي استعملت في بنائها أغلبها إن لم نقل كلها من المواد المحلية التي تنتجها البيئة المحلية.

## نموذج-2- تغمرت ن أيت أزنو بإغرم أمازدار:



من القصبات القديمة بصاغرو - خاصة بإغرم أمازدار- والتي عمرت بدورها لقرون عدة، ومارست أدوارها بكل تقاني وإخلاص لهذا الإنسان الجبلي، اليوم هُجرت وتم التخلي عنها نهائيا، وهذا كله يعطينا الصورة السلبية عامة للأسف الشديد عن الوضعية غير الآمنة والمحرجة للموروث الثقافي المادي بجمال صاغرو وسفحه، الذي يعيش حالة من الاندثار والتدمير والتلف الذي تعرضت له معظم القصبات والقصور لأنها تعرف إهمالا مجحفا سواء لدى الساكنة أو السلطات المحلية. كل هذا أفقد المنطقة ذلك السحر والجمال المعماري الذي كانت تتميز به آنفا، والذي كان يعبر عن عبقرية الإنسان الأمازيغي الذي أبدع هذه الأشكال المعمارية والهندسية التي تلائم مع وسط عيشه وصالحة لكل الظروف المناخية<sup>14</sup>، ومن المشاكل التي نجد في بعض البنيات التي استطاعت الصمود أنها فقدت ذلك الطراز المعماري القديم بعمقها الحضاري لتتحول إلى بنايات إسمنتية محدثة تشوه انسجام وتناسق الفن المعماري لهذه الجبال والواحات. والأغرب من ذلك ما تعرفه بعض التجمعات السكنية من سوء تهئى المجال، إذ نجد بنايات بطابعها القديم تحاديها بنايات عصرية، حيث أن الساكنة نجدها تبدي اهتماما بهذا النمط العمراني الجديد على حساب الأصل، هذا ما يجعلنا نتساءل حول الأسباب التي تترك هذه المعالم التاريخية

<sup>14</sup> - يعتبر التراث العمراني شاهدا حيا لما كان يعيشه الآباء والأجداد من حضارة، فهو يعكس قدراتهم وعبقريتهم في تكييف هذه البنيات مع مناخهم وبيئتهم، كما يشكل كذلك رمزا لتطور الإنسان عبر التاريخ.

تندثر خاصة عن دور الجهات المعنية برد الاعتبار لها، هذه الأخيرة (القصبات والأبراج) نجدها مجرد جدران آيلة للسقوط في أية لحظة ولا يملك المرء سوى أن يلتقط لها صورا لتبقى كذكرى لأن مصيرها إن ظلت هكذا هو الإهمال و الاندثار.

### ت- أبراج المراقبة "إودمان":

يمكن تحديد مفهوم البرج -أكديم أو "أوديم"- بالرجوع إلى أصله ودلالته اللغوية، فلفظة أكديم في اللغة الأمازيغية تدل على مكان مرتفع يطل على مساحات شاسعة، ويكون إما طبيعيا أو مشيدا من طرف الإنسان الذي يعطيه إما شكلا مستديرا أو مربعا<sup>15</sup>، وحسب الروايات الشفوية فإن أكديم يشيده سكان القصور قديما داخل القصور أو على بوابات القصبات أو بشكل مستقل بعيدا عنها، كما أنهم كانوا يشيدونها على بعض السواقي والخطارات والهدف من تشييدها هو مراقبة العدو ورصد كل تحركاته والاستعداد للتصدي لهجماته<sup>16</sup>.

أكديم هو بناء معماري يتميز بارتفاعه ويكون عادة أطول من كل البنايات المجاورة له والمتواجدة بالمنطقة، ومن الصعب التأريخ لظهور هذا النوع المعماري نظرا لقلة الدراسات التي اهتمت بهذا النمط المعماري، ونجد هذه البنايات منعزلة وبعيدة عن أماكن السكن، وهي معروفة في جميع ربوع الجنوب الشرقي في درا وتودغة وأفركلة وغريس وتافيلالت<sup>17</sup>.

### نموذج 1- أوديم - برج- المراقبة لإغرم ن تادفالت بسافلة تودغة:



<sup>15</sup> - أحمد (عماليك)، **معلمة المغرب الأقصى**، "مادة أكديم"، الجزء 2، سلا: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، 1989، ص. 606-607.

<sup>16</sup> - علي (صدقي أزيكو)، **معلمة المغرب الأقصى**، "مادة أكدمت"، الجزء 2، سلا: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، 1989، ص. 607.

<sup>17</sup> - محمد (حمام)، "معطيات تاريخية حول إيگڭمان: النمط القبلي للمعمار العسكري بوادي داس"، مقال منشور ضمن كتاب، **جوانب من تاريخ وادي داس وحضارته**، الرباط: منشورات معهد الدراسات الأفريقية، مطبعة كوثر، الطبعة الأولى، 2002، (ص. ص. 117-127)، ص. 117.



قام سكان تادفالت نْ إگناون<sup>18</sup> - بتشييده فوق الجبل الذي يسمونه بإغير نِرُومِينْ<sup>19</sup>، وذلك لتدعيم المراقبة والحراسة أيام الحروب والصراعات بين القبائل المجاورة والرحل أيضا، الذين يَجُوبون المنطقة وقد ثم بنائه بالتابوت والحجارة، ويتكون من طابقين ويعود تاريخ بنائه إلى عهد السلطان إسماعيل (1667م- 1727م)<sup>20</sup> حسب ما تؤكد الرواية الشفوية المحلية، وكان يتناوب عليه حارسين بالليل والنهار بدون انقطاع نظرا لما تعرفه المنطقة من نزاعات وصراعات حسب الكتابات الكولونيالية والمخزنية.

وقد تم تخريب هذا البرج من طرف باعلي نْ تازارينْ أحد قياد جيوش بالقاسم النگادي بتافيلالت أثناء مروره بالمنطقة، وتمت إعادة بنائه من جديد من طرف قبيلة إگناون سنة 1920م ليمارس وظيفته المنوطة به إلى غاية دخول الفرنسيين إلى المنطقة بعد نهاية معركة بوگافر 1933م، وما تزال أثاره صامدة إلى حدود اليوم ونظرا لغياب عمليات الترميم والصيانة له أصبح يندثر ويتساقط بفعل العوامل الطبيعية والبشرية المتنوعة<sup>21</sup>.

## نموذج-2 أوديم نْ بَابْخ بين أگديم وتاغزوت نأيت عطا:



<sup>18</sup> - إگناون قبيلة ضمن خمس أيت واحليم المُشكّل لاتحادية أيت عطا.

<sup>19</sup> - يسمه السكان بإغير نْ إرومِينْ نظرا لوجود أثر لبناء لبرطقيس أي البرتغال حسب زعمهم، رغم أننا نعرف أن الاحتلال البرتگالي اقتصر على السواحل المغربية ولم يستطع الوصول إلى المناطق الداخلية منه.

<sup>20</sup> - أبحاث ميدانية أجريتها خلال سنة 2011م، أثناء إنجاز بحث للإجازة، المعنون ب، **وصف مونوگرافي لقصر تادفالت**، بحث لنيل شهادة الإجازة، بالتاريخ والحضارة، كلية الآداب والعلوم الانسانية بأكادير، إشراف الدكتور، أحمد احدى، [مرقون].

ولمزيد من المعلومات حول تادفالت، يراجع، عبد القادر (بوراس)، **معلمة المغرب الأقصى**، "مادة تادفالت"، الجزء 6، منشورات الجمعية المغربية للتألف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ص. 1999.

<sup>21</sup> - لقد شرع سكان تادفالت في تخريب هذه المعلمة التاريخية التي قل نظيرها في مناطق أخرى وذلك لأسباب متعددة نذكر منها على سبيل الذكر: أن الأطلال المتبقية من هذا البرج تشكل خطرا على الأطفال الذين يلعبون بمحاذاته، زد على للتدمير الذي طاله بعد شروع مصلحة تثبيت الرادار فوق هذا الجبل.

يقع هذا البرج ما بين قصر تَاغَزُوتْ نَأَيْتْ عَطَّا وأكديم، فالبرج شديد فوق ملتقى خطارات أكديم وعلى الضفة اليمنى لوادي تودغة، بني في منطقة سهلية تتميز بطابعها الفلاحي، وكانت الغاية من بنائه هي القيام بوظيفة الحراسة للأراضي الزراعية ومراقبة السد التلي القريب من هذا البرج، ونجهل بالضبط التاريخ الذي شيد هذا البرج، وتشير الرواية الشفوية أنه يتكون من طابقين ويتميز بشكله المربع، لكنه تعرض الآن للتخريب والهدم الطبيعي من الرياح والأمطار، زد على ذلك العوامل البشرية التي ساهمت في اندثار هذه المعلمة التاريخية البارزة نظرا لتواجهه بجانب الطريق ولم يبق فيه إلا بعض الأطلال والجدران الآيلة للسقوط في أي وقت من الأوقات كما تبين الصورة أعلاه.



نموذج -3- برج المراقبة من الإرث الكولونيالي: أوديم ن توريرت ن إقْدَرْن قرب واكليم

عند الحديث عن الارث الكولونيالي يتبادر إلى الذهن من الوهلة الأولى، تلك المباني التي ثم بناؤها من طرف القوات الفرنسية إبان اخضاع منطقة صاغرو والمناطق المجاورة، ومن أبرز هذه الأبراج نجد أوديم ن توريرت ن إقْدَرْن الذي شيدته أثناء احتلال مناطق أيت عطا بقدم جبل صاغرو، وقد شيد هذا البرج فوق جبل محاذي لمدينة تنغير والذي يبعد عنها حوالي 5 كلم، وكانت وظيفته مراقبة تحركات قبائل المنطقة خلال الثلاثينيات من القرن الماضي.

وقد تعرض للخراب والتدمير البشري بعد رحيل قوات الغلاوي والفرنسيين من طرف السكان، زد على ذلك العوامل المناخية من الحرارة المفرطة والرياح القوية والأمطار، وكما تبين الصورة أعلاه تعرض للتدمير النهائي ولم يبق إلا بعض الجدران والأطلال التي صمدت أمام العوامل السابقة الذكر، وللإشارة فقط فيجب توعية وتحسيس الناس بأهمية هذا الارث التاريخي المهم - رغم كونه إرثا كولونياليا- فعلى أن نفتخر به، لأن هذه الأبراج تعبر عن قوة وصلابة المقاومة الشديدة التي، أبان عنها أجدادنا لمقاومة المحتل الفرنسي والتي لا نجد أثر في مناطق أخرى<sup>22</sup>.

<sup>22</sup> - ولمزيد من المعطيات حول وضعية إودمان ، يراجع مقال، محمد (لطيف) إبودمان (أبراج المراقبة) واحات الجنوب الشرقي للمغرب، بين واقع الخراب وطموح رد الاعتبار، ضمن الملتقى

#### نموذج 4- برج /أوديم المراقبة الفرنسي بتاوريرت ن يمليل:



تم تشييد هذا البرج من طرف القوات الاستعمارية خلال الثلاثينيات من القرن الماضي، في موقع استراتيجي- إغِيرْ نْ يَمْلِيلْ- الذي يطل على واحة تودغة من جهة ومن جهة يراقب إمْضِير وتماضروين، كما أن له علاقة البرج السابق الذكر وبالتكنة العسكرية المبنية فوق تيزي ن تازولت -فم القوس نْ تازُولْتْ-، وعلى العموم كانت الغاية الواحدة من بناء هذا الكم الهائل من الأبراج هو مراقبة و "تهدئة " السكان، الذين رفضوا الاحتلال الفرنسي لمناطقهم وإجمالاً فكل هذه الأبراج المذكورة وغيرها توجد في حالة مزية، تعرضت في مجملها لأسباب التدهور والخراب والإهمال والوهن.

#### د- الأضرحة: إْغَرَّامْنْ:

وهي تلك الفضاءات المقدسة للأولياء والصلحاء وهي عبارة بنايات يوجد بداخلها قبر ولي أْغَرَّام<sup>23</sup>، وعرفت منطقة صاغرو ومحيطها انتشاراً واسعاً لهذه الإْغَرَّامات، ومنها على سبيل المثال ضريح خُوِي إبراهيم بقدّم جبل صاغرو وهو تابع لقبلية أيت بوداود من لف أيت أيت حسو خمس أيت واحليم، وبهذا الأخير تم عقد الهدنة بين المقاومين العطويين والطرف الفرنسي يوم 24 مارس 1933م.

---

الدولي : واحات درعة وتافيلالت : الثقافة والتاريخ والتنمية، أية استراتيجية جهوية مندمجة؟ تنظيم المجلس الوطني لحقوق الإنسان، ورزازات 20- 21 يناير 2012.

<sup>23</sup>- للمزيد من التوضيح يراجع، إدموند (دوتي)، الصلحاء مدونات عن الإسلام المغربي خلال القرن التاسع عشر، [ترجمة محمد بن ناجي عمر]، الدار البيضاء: منشورات أفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، 2014، (ص.ص. 15-27).

- يراجع كذلك ، سيدي محمد (الكتاني)، المقدس في المجتمع الجبلي 1894م-1912م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، الرباط: جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وحدة التكوين والبحث المغرب والعالم المعاصر، إشراف الأستاذ الدكتور عبد العزيز خلوّق التسماني، [مرفوعة]، 2003-2004، ص. 377-378.

بالإضافة إلى أكرام مولاي يوسف بالعاصمة السياسية لأيت عطا بإغرم أمازدار، والذي لا يبعد سوى أمتار قليلة عن المحكمة العرفية، وقد لعب هذا الأخير دورا كبيرا في إحلال الهدوء والسلام، في هذا المكان المقدس بحيث تحرم فيه الخصومات وإراقة الدماء والمعروف تاريخيا بـ تقروات ن صاغرو، مكان الحرم بها يلتجئ كل مظلوم وخائف لينعم بالهناء والراحة بهذا المكان، زد على ذلك أكرام سيدي أحمد إفروثنت التي شكل عبر الذاكرة الجماعية محجا لأيت عطا وخاصة أيت إعزى بأسيف ن الرگ، وقد شكل هذا الأخير مرتبطا لفرس لمحمد بالحسين التوزونيني القادم من أفا، وبه التحمت حوله أيت عطا وعناصر أخرى لخوض المقاومة بتافيلالت منذ سنة 1918م إلى غاية نهاية حرب بوگافر.

زد على ذلك أكرام ن خوي لحسن مغريز بصاغرو وهو خاص بقبيلة المشان، ولن نبالغ أن قلنا أن لكل قبيلة من أيت عطا أكرامها، ومن أشهر أضرحة المنطقة على سبيل المثال لا للحصر، نجد سيدي مسكور والحاج عمر بتودغة، وقد لعبت هذه الأضرحة أدوارا طلائعية في حياة الساكنة منها الاقتصادية بحيث تقام بها مواسم سنوية تصبح فضاءا لشراء وبيع الحاجات الضرورية ويحج إليه الناس من أماكن بعيدة، خاصة موسم الحاج عمر بالحز ن إكرامن، هذا من جانب ومن جانب آخر تشكل فضاءا لعقد الصلح والتحالف أثناء الصراع والحرب<sup>24</sup>، وعلى العموم لازالت هذه الفضاءات تحافظ على خصوصيتها الجمالية والمعمارية، وعلى أنشطتها المعتادة، وسلمت من أيدي الناس من التخريب والتهديم، إلا إذا استثنينا ما تعرض له ضريح الحاج عمر من تهديم من جراء فيضانات واد تودغة سنة 2005م.

#### نموذج 1- ضريح أكرام ن سيدي أحمد إفروثنت



<sup>24</sup>- سيدي محمد (الكتاني)، " الأضرحة: مجال الإرث الثقافي بواحة تودغا"، مقال منشور ضمن كتاب جماعي، التراث الثقافي لجهة سوس ماسة درعة، الرباط: منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة دراسات وأبحاث رقم 35-، [تنسيق محمد أيت حمزة والوافي النوحى]، مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الأولى، 2013، (ص. ص. 155-171)، ص. 156-157.

## نموذج -2 ضريح أغرام خوي إبراهيم بصاغرو



### 3. وضعية التراث المادي بـجبال صاغرو وسفحه:

يمكن أن نعطي صورة عامة نجمل فيها الوضعية المتردية للتراث بـجبال صاغرو والأسباب الكامنة وراء ذلك التدهور المهول الذي يعيشه موروثنا الثقافي المادي، إلى أسباب كثيرة مختلفة ومتنوعة، إذن كما تبين الصور أعلاه يتضح بالبحث والمطلق الحالة المزرية والإهمال الذي يعاني منه التراث العمراني بالمنطقة سواء التراث الذي خلفته الساكنة أو التراث الكولونيالي، وهذا راجع لعدة أسباب منها على سبيل الذكر لا للحصر، أولاً دور المخزن الذي قام بتخريب مجموعة من القصور والقصبات أثناء قيامه بحملات عسكرية وتأديبية إلى هذه المناطق، إذ ينهج سياسية الحديد والنار مع القبائل التي ترفض أداء الضرائب، وفي الصدد أرود صاحب **نعت الغطريس** إبان الحركة الثانية للـكـلاوي إلى تودغة في أواخر سنة 1919م وبداية 1920م، "ثم انتقلت محلة السيادة إلى إمضر وهي بلدة بين دادس وتودغة، [...] وأوقعت بهم وقعة شنعاء وجعلت قصورهم عليها سافلها، فكانت عبرة لمن أبصرها"<sup>25</sup>. وأضافت كذلك جريدة السعادة "[...] وصلت الحركة السابقة إلى إميتير - إمضر - بدون أن يحدث لها في طريقها ما يكدر صفو سيرها، [...] أمر سيادة باشا مراكش الأسعد وقائد الحركة المزوارية [...]"، التهامي المزواري بتدمير القصور التي في إميتير، على ملك أيت ايخنيفن - بوكنيفن"<sup>26</sup>.

<sup>25</sup> - محمد المهدي بن العباس (الناصري)، **نعت الغطريس، الفسيس، هيان بن بيان، المنتمي إلى سوس**، [تحقيق خالد ناصر الدين]، الرباط: منشورات دار الأمان: مطبعة الأمنية، الطبعة الأولى 2016، ص.314.

<sup>26</sup> - **جريدة السعادة**، جريدة سياسية أدبية تجارية يومية، عدد 2117، السنة السادسة عشر، بتاريخ 11 غشت 1920م، (ص.ص. 1-4)، ص. 2.

زد على كذلك دور الاحتلال الفرنسي الذي ساهم بدوره في تدمير وقصف المنشآت العمرانية بالمنطقة خلال عمليات احتلاله للمنطقة، بحيث انتهت عمليات "التهدة" بإحراق عدد من القصور وتشريد سكانها<sup>27</sup>، ونكتفي بأن نذكر هنا أيضا بحديثي قصف الطائرة الفرنسية لقصر تاغيا ن المشان سنة 1930م<sup>28</sup>، وكذا التخريب والتهديم الذي أوقعته القوات الفرنسية بقصر تادفالت بعد حصارها للمقاوم زايد أوحاماد المرغادي يوم 4 مارس 1936م، بالإضافة إلى الصراعات و"الفتن" القبلية وما ينجم عنها من تخريب وتهديم، سواء أثناء الفراغ المخزني أو التي تنجم عن الصراع بين القبائل حول الأراضي الزراعية والرعية والمياه<sup>29</sup> والتي تؤدي حتما إلى حرب تنتهي بتخريب القصور والسواقي وقطع الأشجار وغيرها<sup>30</sup>.

وهذا ما يمكن اجماله في العوامل البشرية، أما في ما يخص العوامل الطبيعية المؤثرة في هذا التراث، فهي متعددة بدورها، منها الثلوج والأمطار والرياح الغزيرة، والسيول الجارفة ساهمت بطبيعية الحال في تخريب هذا التراث<sup>31</sup>، ولخص مصطفى الأدرسي وضعية التراث بقوله، "إن التراث الثقافي المعماري والحضاري يتعرض في الوقت الراهن إلى إتلاف عميق بسبب تدخل عوامل فيزيائية وبشرية"<sup>32</sup>.

فكل القصور والقصبات هجرت في معظمها بشكل نهائي، فناذرا ما نجد أن هذه الأخيرة ما تزال تمارس وظيفتها المعنية، فقط تخلى الناس عن هذا الإرث القديم، على حساب البنيات الاسمنتية والأجور التي أصبحت تغطي جنبات الواحات وأطلال المتبقية من هذا المعمار، مما أعطى أشكالا مشوهة لتلك المناطق، ويقدم الباحث لحسن تاوشيك وصفا دقيقا وحقيقيا عن وضعية تراثنا المادي حينما كتب، "وفي

---

27- أحمد (البوزيدي)، "مقاومة أيت عطا بجبل صاغرو"، مقال ضمن، **موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، الكفاح الوطني في مواجهة الاستعمار**، الجزء الأول، الرباط: منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، عكاظ، الطبعة الأولى، 2005، (ص. 180-186)، ص. 182.

28- جورج (سبيلمان)، **أيت عطا الصحراء وتهدة درعة العليا**، [ترجمة وتقديم أحمد احدى]، أكادير: منشورات جامعة ابن زهر، الطبعة الثانية، 2011، ص. 56.

29- يكفي هنا مثلا أن نذكر بالصراعات القبلية التي حدثت بين سافلة وعالية تودغا حول حقوق المياه في الفترات الجافة وما ينجم من هذه الحروب من تخريب وتدمير للقصور والمنشآت المائية من سواقي وسدود تحويلية، هنا فقط حرب بين أيت الحارث وأهل أيت إغلا وأيت أحمد بتودغة المعروفة بحرب (أَتَات مِيمُولُون تُنْعَلَم أَوْدُ أَعُو).

30- أحمد (البوزيدي)، "تدهور البيئة بواحات درعة من خلال الكتابات المحلية، مرجع سابق، ص. 100-101.

31- نذكر هنا مثلا ما سببه فيضانات واحة تودغة خلال في يوم 31-10-2006، من تخريب وتهديم في قصور حارة المرابطين وبعض الدور بقصر تاغزوت نأيت عطا، والتي لازالت آثاره إلى اليوم.

32- مصطفى (الإدريسي)، "التجمع البشري وتنمية التراث المعماري للجنوب المغربي"، مقال منشور ضمن، **كتاب أعمال الأيام الدراسية الأولى لجامعة مولاي علي الشريف بالريصاني**، مركز الدراسات والبحوث العلوية أعمال الدورة الأولى 1989، الرباط: منشورات مطابع ميثاق، الطبعة الأولى 1990، (ص. ص. 408-413)، ص. 411.

الوقت الذي كنا سنحتفظ بهذا الإرث المجيد أصبحنا مثل ذلك الغراب الذي حاول أن يقلد مشية الحمامة، فأصبحت عمارتنا الحالية بدون هوية وغير صالحة بتاتا لمواجهة تقلبات الطقس والكوارث الطبيعية [...]، وحتى مواجهة الأشعة النافذة والموجات الصوتية. لهذا نلج على الرجوع إلى موروثنا المعماري الذي يعبر حقيقة عن هويتنا من جهة، وبتلاءم والظروف المحيطة بنا من جهة ثانية. وفي إطار ما نعيشه اليوم من عولمة متسلطة يصعب التمييز بين الخصوصيات الثقافية والاجتماعية لكل شعب"<sup>33</sup>.

يعاني التراث المادي مشكل الإهمال نظرا لمعارضة مالكيه وسكانه لترميمه وصيانتته، وذلك لعدة أسباب منها قلة الإمكانات المادية المتوفرة، زد على ذلك مشكل الملك العقاري المشترك بين مجموعة من أفراد العائلة الواحدة، الشيء الذي يجعل من هذا الارث عرضة للاندثار والتلف، ففي الحقيقة يحز في أنفسنا ونحن نريد و يجب أن تكون آثارنا العمرانية خير معبر عن حضارتنا فما نشاهده اليوم يخالف هذه النظرة، حيث إن آثارنا أصبحت في وضعية يرثى لها، وأظن أنه لولا الجانب السياحي لكانت هذه الآثار في خير كان، فالآثار المندثرة أصبحت تشكو حالة الضياع، والآثار التي لا زالت حية بعد أن شهدت عملية "تزييف" في السنوات السابقة أصبحت اليوم محطة استيلاء وشراء من طرف الأجانب الذين حولوها إلى ملكيات خاصة على شكل رياضات وملاهي لا يدخلها في الغالب إلا الأجانب، بينما هي ممنوعة حتى على مالكيها السابقين من المغاربة"<sup>34</sup>.

#### 4. آليات الحفاظ على التراث:

إن ضعف الوعي التراثي لدى الناس وجهلهم به سبب رئيسي من أسباب اندثاره وضياح الكثير من عناصره، ولهذا يجب أن نعمل على تعميق الوعي بالتراث حتى نوحّد الصلة بين المواطن وتراثه ليقوم عن قناعة وإدراك بالحفاظ عليه والدفاع عنه، وبدون تفسير التراث للناس وتوعيتهم بأهميته لا يمكن أن تتحقق معادلة الحفاظ لديهم، وهي أن وعي المواطن بحماية التراث هي حماية لذاته وهويته.

يمكن بهذا الخصوص أن ندرج بعض الاقتراحات التي نراها صائبة في آليات الحفاظ على التراث المادي بجلال صاغرو ووحدات الجنوب الشرقي المغربي.

- أولا توعية الناس بأهمية هذا التراث المادي ( إغرمان - تغرماتين- إودمان- إكرامن-)، باعتباره إرثا تاريخيا للأجداد يجب الحفاظ عليه لما له من خصوصية محلية، إذ يعتبر رمزا للهوية الوطنية الحقيقية وعنصرا أساسيا في ذاكرتنا الجماعية.
- دور المجتمع المدني والمدرسة بالقيام بواجبهم لترسيخ قيم الحفاظ وحماية التراث المادي، فلكل بلاد طابعها المعماري وفقا للبيئة المحلية والعقلية المجتمعية.

<sup>33</sup> - لحسن (تاوشخت)، "تميز التراث المغربي"، مقال منشور جريدة ميثاق الرباطة، حينما حاورته عزيزة بزامي، العدد 234، بتاريخ 03-06-2016، (ص. ص. 1-14). ص. 6.

<sup>34</sup> - لحسن (تاوشخت)، مرجع سابق، ص. 04.

- كما يجب على وزارة التربية الوطنية إدراج هذا التراث في المقررات الدراسية والحث على أهميته، كما تسرب الخطابات السياسية من داخل المساجد والمنابر، يجب إعطاء دروس في الأخلاق والتوعية على الحفاظ على التراث المادي.

- تطبيق الأعراف والقوانين في حق لكل ما ثبت في حق تدمير وتخريب هذا التراث.

- يجب على وزارة الثقافة، والمعهد العالي للآثار بالرباط، ومركز الصيانة والمحافظة على المباني التاريخية بالأطلس والصحراء القيام بواجبها للتدخل لترميم هذه القصبات والقصور قبل فوات الأوان.

- كما يجب إعداد بطاقات تقنية لكل معلمة تاريخية لما لها من دور ثقافي وجمالي وعلمي، كذلك يجب تشجيع البحث العلمي في ما يخص الطلبة والأساتذة الباحثين الذين يشتغلون في الشأن.

- استغلال التجارب الأجنبية الحديثة في الحفاظ على التراث المحلي.

ولذلك أملنا في وزارة الثقافة والسلطات المحلية من أجل التدخل السريع لإنقاذ ما تبقى من القصبات والقصور، وذلك بترميمها وإصلاحها لأن هذا النوع من المعمار الحضاري الذي يضاهي الحضارات الأخرى، يجب المحافظة عليه وذلك بالصيانة والترميم وحمايته من مضاعفة التدهور والانحيار، وذلك باعتبار التراث العمراني رصيد وثائقيا ماديا هاما، ويمثل المحدد الهوية الوطنية، والذي يعتبر رمزا لذاكرتنا المحلية.

فالتراث يكتسي قيمة عدة ذات طابع أخلاقي وثقافي وروحي وسياسي واقتصادي. وأسباب عدة تبرهن بجدارة أن الاستثمار في هذا القطاع يساهم في كسب رهان التنمية الوطنية، طالما أن حماية التراث الثقافي يمكن أن يلعب دورا أساسيا في الدفع بعجلة التنمية الاجتماعية والاقتصادية على السواء<sup>35</sup>، على غرار القصبات المتبقية تتصارع مع عوائد الزمن في انتظار فرصة ليتم ترميمها لتسترجع حيويتها وجمالها، إلا أن هذه الأموال لم تتحقق بعد، إلا إذا استثنينا تغرمت نأيت حداثا بأكديم<sup>36</sup>، التي أعيد ترميمها من طرف ساكنيها، أما ما تبقى فتشهد فقط على قصة عايشتها ولا أحد يلتفت إليها.

إن فقدان تراث معين عن طريق الانحطاط والاختفاء يعتبر إفقارا لتراث كل الشعوب، مما يؤكد أن التراث والآثار في حد ذاتها ملكية عامة<sup>37</sup>. يجب تطبيق قوانين لحفظ واحترام اراث الأجيال السابقة لذلك يجب مراقبة إيقاف مسلسل التخريب أو

<sup>35</sup>- محمد (بن يدير)، "حماية الآثار والممتلكات الثقافية: أية رهانات للتنمية المستدامة؟"، مقال ضمن ندوة، التراث والمتاحف بالمغرب، الرباط: منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات الأنثروبولوجية والسوسولوجية، سلسلة مناظرات وندوات، رقم 11-1، مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الأولى، 2007، (ص.ص 11-29)، ص.11.

<sup>36</sup>- توجد هذه القصة بأكديم نأيت إعزى، وقد رمت هذه القصة من طرف ملاكها، لتستعيد نشاطها الذي مارسه سابقا، وتعتبر هذه الأخيرة المعلمة التاريخية والوحيدة المتبقية بمنطقة أكديم.

<sup>37</sup>- محمد (بن يدير)، مرجع سابق، ص.12.



التلف الانساني أو الطبيعي لهذه الموارد تأمينا لاستمرار وديمومة انتقالها إلى الأجيال اللاحقة في إطار ما يسمى التنمية المستدامة.

#### 5. تامين هذا التراث في خدمة التنمية المحلية:

يمكن استثمار هذا التراث الثقافي المادي بعد ترميمه وإصلاحه في خدمة التنمية المحلية، وذلك مثالا بتشجيع السياحة الداخلية والخارجية لزيارة هذه القصبات والقصور، إذ على المؤسسات السياحية الوطنية التشهير بما تزخر به مناطق الجبال والواحات من تراث يستحق الزيارات السياحية والايكولوجية، زد على ذلك وضع لوحات تشورية لأهم القصور والقصبات لتسهيل الولوج إليها.

ترميم بعض القصبات وجعلها كفنادق أو تعاونيات للنساء، دار الشباب والثقافة، ومركز لبعض الجمعيات، أو جعلها دكاكين لبيع وعرض والمنتجات المحلية، أو تحويلها إلى متاحف انثوگرافية يضم كل ما يتعلق بالألبسة والأدوات التقليدية، وصور لأحدث وشخصيات قدمت الشيء الكثير للمنطقة. كما يجب التصالح مع الإرث الاستعماري واستغلاله في خدمة الصالح العام، والتنمية الشاملة والمحلية للمنطقة.

ونقدم هنا مثالا بارزا أعطى نتائج بعد ترميمه وإصلاحه وهي قسبة الشيخ باسو أو علي الموجودة بمركز مدينة تنغير، والتي تغيرت من وظيفتها التقليدية إلى وظيفة سياحية اقتصادية استثمارية، حيث تحولت إلى فندق تومبوكتو بفضل المستثمر الإسباني روجي ميمو، حيث أصبحت قبلة للسياح نظرا لكونها احتفظت على معالمها التقليدية إضافة إلى تجديدها من خلال إدخال ديكورات جديدة عليها، وتتكون هذه المعلمة من 52 غرفة جميعها مكيفة لتتناسب مع المناخ الصحراوي وتندر أرباحا مادية مهمة لمالكها.

#### 6. توصيات:

- يجب ترميم القصبات والقصور وإعادة الحياة إليها، من طرف الجهات المسؤولة.
- تأسيس إذاعة جهوية بعدما أصبحت المنطقة تابعة لجهة درا تافيلالت، تدرج من خلال برامجها حول التراث المعماري للمنطقة للتعريف بها.
- ضرورة إعداد صور كبيرة ومجسمات لقصور وقصبات المنطقة، وعرضها في المعارض الدولية والوطنية والمحلية.
- إدراج صور القصبات والقصور في البطاقات البريدية.
- يجب القيام بحملات تحسيسية وتوعية مستمرة حول أهمية التراث المعماري في الحفاظ على الهوية الوطنية.
- القيام بأبحاث علمية تهم التراث المعماري للمنطقة.
- إدخال منطقة صاغرو ودادس والنقوب ضمن مناطق التراث الوطني والعالمي الذي يشرفه عليه اليونسكو.

- توصية إلى المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية أن يقوم بجرد والنهوض بتنمين المباني التاريخية للمجالات الجبلية والصحراوية، خاصة القصور والقصبات وأبراج المراقبة.
- إن التراث يساهم في مستوى تشكل الهوية الوطنية والتلاحم الاجتماعي ومحاربة التهميش وتكوين الرأسمال الاجتماعي، وتقوية التراث الثقافي للأمم، وأخيرا الآثار الايجابية على مستوى التنمية المستدامة والانسانية أي الحماية والنقل المستدامين للتراث إلى الأجيال اللاحقة.
- وفي الأخير، يجب خلق لجنة علمية تجمع عدة فعاليات ومؤسسات، مثل وزارة الشؤون الثقافية، قسم الصناعة التقليدية، قسم الطاقة والمناجم، قسم السياحة، الوكالة الوطنية للمحافظة على الآثار والتراث، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية والجامعات المغربية، والجماعات المحلية وفعاليات المجتمع المدني من أجل التعاون وحماية هذا الارث التاريخي بصيانه وترميمه وإعادة الحياة إليه مرة ثانية كآلية لتنمين واستثمار هذا الموروث الذي تركه الأجداد للأبناء ومنهم إلى الأبناء ومنهم إلى الأجيال القادمة والمقبلة.

### خاتمة:

ختاماً، يمكن القول إن حماية التراث في الحقيقة مسؤولية جماعية، تتجاوز الجهات الرسمية إلى المواطن وإذا كانت الدولة ضمنتها هي المناط بها باسم الشعب مسؤولية الحفاظ على التراث الوطني إلا أن المهمة الأخلاقية الكبرى تقع بالدرجة الأولى على المواطن، وحتى يعي هذا الأخير بالمهمة التي ينبغي أن تتوفر له برامج تعليمية وتربوية طويلة المدى تفسر له هذا التراث وتربيته على حبه والاهتمام به، لأن التراث في آخر المطاف قريب من الناس فهو منهم وإليهم، لذلك يجب الكف عن الانزياح نحو الغزو الثقافي المدمر- العولمة- الذي ينسى الناس أنفسهم ويغفلون عن ماضيهم ويشتغلون بحاضرهم، كما على الكل أن يتحمل نقل هذا التراث إلى الأجيال القادمة كما ترك لنا الأجداد، إذ لا جدوى ولا معنى للحديث عن تراث لا نعرفه ولا ندرك أهميته وضعيه أهله.

## لائحة المصادر والمراجع المعتمدة

### الكتب:

- ناصري (محمد بن المهدي بن العباس ال)، نعت الغطريس، الفسييس، هيان بن بيان، المنتمي إلى سوس، [تحقيق خالد ناصر الدين]، الرباط: منشورات دار الأمان: مطبعة الأمنية، الطبعة الأولى 2016.
- عوض (لويس)، ثقافتنا في مفترق الطرق، بيروت لبنان: منشورات، دار الآداب، الطبعة الثانية، 1983.

### المقالات:

- ادريسي (مصطفى ال)، "التجمع البشري وتنمية التراث المعماري للجنوب المغربي"، مقال منشور ضمن، كتاب أعمال الأيام الدراسية الأولى لجامعة مولاي علي الشريف بالريصاني، مركز الدراسات والبحوث العلوية، أعمال الدورة الأولى 1989، الرباط: منشورات مطابع ميثاق، الطبعة الأولى 1990، (ص. ص. 408-413).
- أزيكو (علي صدقي)، معلمة المغرب الأقصى، "مادة أگدمت"، الجزء 2، سلا: منشورات الجمعية المغربية للتألف والترجمة والنشر، مطابع سلا، الطبعة الأولى، 1989، ص. 607.
- بن يدير (محمد)، "حماية الآثار والممتلكات الثقافية: أية رهانات للتنمية المستدامة؟"، مقال ضمن ندوة، التراث والمتاحف بالمغرب، الرباط: منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات الأنثروبولوجيا والسوسيولوجية، سلسلة مناظرات وندوات، رقم 11-، مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الأولى، 2007، (ص. ص. 11-29).
- بنضيك (عبد الناصر)، "التراث المعماري بالجنوب المغربي: نموذج منطقة سكرة بإقليم ورزازات"، مقال منشور ضمن، دورية كان التاريخية الالكترونية، مجلة علمية محكمة، العدد 6، دجنبر 2009، (ص. ص. 22-31)،
- بوزيدي (أحمد ال)، "مقاومة أيت عطا بجبل صاغرو"، مقال منشور ضمن، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، الكفاح الوطني في مواجهة الاستعمار، الجزء الأول، الرباط: منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، عكاظ، الطبعة الأولى، 2005، (ص. ص. 180-186).
- تاوشخت (لحسن)، "تميز التراث المغرب"، مقال منشور، جريدة ميثاق الرابطة، حينما حاورته عزيزة بزامي، العدد 234، بتاريخ 03-06-2016، (ص. ص. 1-14).

- حمام (محمد)، "معطيات تاريخية حول إيگدمان: النمط القبلي للمعمار العسكري بوادي دادس"، مقال منشور ضمن كتاب، **جوانب من تاريخ وادي دادس وحضارته**، الرباط: منشورات معهد الدراسات الافريقية، مطبعة كوثر، الطبعة، 2002، (ص.ص. 117-127).
- دكاري (عبد الرحمان ال)، "التراث المعماري بالمغرب الذاكرة المجالية ومظاهر التنمية"، مقال منشور ضمن، **مجلة أبحاث ودراسات التنمية**، مجلة دورية محكمة تصدر عن مختبر الدراسات والبحوث في التنمية الريفية، بجامعة البشير الابراهيمى بوعريريج الجزائر، العدد العاشر، الطبعة الأولى، ديسمبر 2014م، (ص.ص. 9-39).
- عماليك (أحمد)، **معلمة المغرب الأقصى**، "مادة أگديم"، الجزء 2، سلا: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، الطبعة الأولى، 1989، (ص.ص. 606-607).
- كتاني (سيدي محمد ال)، "الأضرحة: مجال الإرث الثقافي بواحة تودغا"، مقال منشور ضمن كتاب جماعي، **التراث الثقافي لجهة سوس ماسة درعة**، الرباط: منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة دراسات وأبحاث رقم 35-، [تنسيق محمد أيت حمزة والوافي النوحى]، مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الأولى، 2013، (ص.ص. 155-171).
- **جريدة السعادة**، عدد 2117، السنة السادس عشر، بتاريخ 11 غشت 1920م، (ص.ص. 1-4)، ص. 2.